

وَلَمْ يَجْتَمِعْ لِي فِي هَذَا الْبَابِ، وَلَا أَمَكَّنِي فِي هَذَا الْوَقْتِ ضَبْطُ فَرَايْتُهُ تَكْلُفًا، مَسْأَلَةٌ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى مُرَاعِمًا كَثِيرًا [المسألة الثانية: قَوْلُهُ: (مُرَاعِمًا كَثِيرًا) هَذِهِ لَفْظَةٌ وَرَدَتْ فِي الْآيَةِ الَّتِي قَبْلَهَا، وَفِيهِ اخْتِلَافٌ وَإِشْكَالٌ، الثَّانِي: الْمُرَاعِمُ: الْمُتَحَوِّلُ، الثَّالِثُ: الْمُرَاعِمُ: الْمُنْدُوحَةُ. حَتَّى يُقَالَ: أَرَعَمَ اللَّهُ أَنْفَهُ، وَأَفْعَلَ كَذَا وَإِنْ رَعِمَ أَنْفَهُ، وَتَحْقِيقُهُ أَنَّ اللَّفْظَةَ تَرْجِعُ إِلَى الرُّعَامِ بِفَتْحِ الرَّاءِ. مَسْأَلَةُ السَّفَرِ فِي الْأَرْضِ] [المسألة الثالثة: قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} [النساء: 101]: وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: فِي السَّفَرِ فِي الْأَرْضِ: تَتَعَدَّدُ أَقْسَامُهُ مِنْ جِهَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ، فَتَنْقَسِمُ مِنْ جِهَةِ الْمَقْصُودِ بِهِ إِلَى هَرَبٍ أَوْ طَلَبٍ. وَحَرَامٍ. وَتَنْقَسِمُ مِنْ جِهَةِ التَّنَوُّعِ فِي الْمَقَاصِدِ إِلَى أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ: الْهَجْرَةُ، وَهِيَ تَنْقَسِمُ إِلَى سِتَّةٍ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ: الْخُرُوجُ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ إِلَى دَارِ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنْ بَقِيَ فَقَدْ عَصَى، الثَّانِي: الْخُرُوجُ مِنْ أَرْضِ الْبِدْعَةِ. فَإِنَّ الْمُنْكَرَ إِذَا لَمْ يُقَدَّرْ عَلَى تَغْيِيرِهِ نُزِلَ عَنْهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 68]. وَقَلَّةُ الْعَقْلِ، وَيَلْحَقُ بِهِ، وَقَدْ اسْتَنْتَى مِنْ ذَلِكَ الْخُرُوجُ مِنَ الطَّاعُونَ؛ فَمَنْعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ بِالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيَّنَّ أَنِّي رَأَيْتُ عُلَمَاءًا قَالُوا هُوَ مَكْرُوهٌ. فَهَذِهِ أُمَمَاتُ قِسْمِ الْهَرَبِ. وَأَمَّا قِسْمُ الطَّلَبِ فَيَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: طَلَبُ دِينٍ وَطَلَبُ دُنْيَا؛ وَقَدْ بَيَّنَّا فِي مَوْضِعِهِ. وَهُوَ فَرَضٌ عَلَيْهِ. وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى». هَذَا أَصْلُهَا الَّتِي تَتَرَكَّبُ عَلَيْهِ. وَلَا يُسْقِطُ الْفَرَضُ إِلَّا فَرَضُ. الثَّانِي: أَنَّهُ لَا تُقْصَرُ إِلَّا فِي سَفَرٍ قُرْبَةٍ، مِنْهُمْ ابْنُ حَنْبَلٍ. كَمَا قَدْ بَيَّنَّا أَنْوَاعَهُ، حَتَّى فِي سَفَرِ الْمَعْصِيَةِ، وَهُوَ قَوْلُ أَبِي حَنِيفَةَ وَجَمَاعَةٍ، وَتَعَلَّفُوا بِحَدِيثِ عَائِشَةَ: «فَرَضَتِ الصَّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ فَرِيدَتِ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ وَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى أَصْلِهَا». السَّادِسُ: أَنَّ الْقَصْرَ لَا يَجُوزُ إِلَّا مَعَ الْخَوْفِ قَالَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ عَائِشَةُ قَالَتْ: أَتَمُّوا، لِأَنَّ عُمُومَ الْقُرْآنِ لَمْ يَخُصَّ مِنْهَا وَاجِبًا مِنْ نَدَبٍ، لِأَنَّهُ عَمٌّ وَلَمْ يَخُصَّ قُرْبَةً مِنْ مَبَاحٍ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ يَقْصَرُ فِي سَفَرِ الْمَعْصِيَةِ فَلَا نَهْيَ فَرَضُ مُعَيَّنٍ لِلْسَّفَرِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ قَوْلُ عُلَمَاءِ الْمَذْهَبِ، يُعَارِضُهُ نَصُّ الْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارُ الْمُتَوَاتِرَةُ؛ وَكَانَتْ تَتِمُّ فِي السَّفَرِ». وَالْعَزَائِمُ لَا تَتَغَيَّرُ بِسَفَرِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ كَالْتِمِمْ. وَقَدْ كَانَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الصَّحَابَةِ يَخْتَلِفُونَ فِي تَقْدِيرِهِ؛ فَرُوي عَنْ عُمَرَ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ كَانُوا يُقَدِّرُونَهُ بِيَوْمٍ. مَسْأَلَةُ آرَاءِ الْعُلَمَاءِ فِي تَأْوِيلِ الْقَصْرِ فِي الصَّلَاةِ [المسألة السادسة: قَوْلُهُ: {أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ} [النساء: 101]: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَأْوِيلِهَا؛ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا قَصْرُ الْحُدُودِ وَتَغْيِيرُ الْهَيْئَاتِ. وَقَالَ عُلَمَاؤُنَا: الْآيَةُ تَحْتَمِلُ الْمَعْنَيْنِ جَمِيعًا؛ وَأَمَّا الْقَصْرُ مِنْ عَدِيدِهَا إِلَى ثِنْتَيْنِ فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِعْلًا فِي حَالَةِ الْأَمْنِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الشَّرْطِ الْمُتَّصِلِ بِالْفِعْلِ؛ وَلَا عِلْمَ عَنْدهُمْ بِاللُّغَةِ وَلَا بِالْكِتَابِ. قَالَ: عَجِبْتُ مِمَّا عَجِبْتُ مِنْهُ. فَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَأَقْبِلُوا صِدْقَتَهُ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَيْنَا وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ شَيْئًا، وَلَقَدْ انْتَهَى الْجَهْلُ بِقَوْمٍ آخِرِينَ إِلَى أَنْ قَالُوا: إِنَّ الْكَلَامَ قَدْ تَمَّ فِي قَوْلِهِ: {مِنَ الصَّلَاةِ} [النساء: 101] وَابْتَدَأَ بِقَوْلِهِ: {إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا} [النساء: 101] وَإِنَّ الْوَاوَ زَائِدَةَ فِي قَوْلِهِ: {وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ} [النساء: 102] وَهَذَا كُلُّهُ لَمْ يَفْتَقِرْ إِلَيْهِ عُمَرُ وَلَا ابْنُهُ وَلَا يَعْلَى بْنُ أُمَيَّةَ مَعَهُمَا. فَهَؤُلَاءِ لَمَّا جَهِلُوا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ تَكَلَّمُوا بِرَأْيِهِمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ. وَقَوْلُ مَذْمُومٍ، أَوْ مُبْتَدِعٍ مُتَخَلِّفٍ. وَهَذَا كُلُّهُ يُبَيِّنُ لَكَ أَنَّ الْقَصْرَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَرُخْصَةٌ لَا عَزِيمَةٌ وَهِيَ: مَسْأَلَةُ الْمُسَافِرِ مُخَيَّرَ بَيْنَ الْقَصْرِ وَالْإِتِمَامِ [المسألة الثامنة: وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْقَصْرَ سُنَّةٌ، وَعَلَى هَذَا، جُمُهورُ الْمَذْهَبِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاطَّابَ عَلَيْهِ فِي الصَّحِيحِ